بسم الله الرحمن الرحيم

أَمَانَةُ الْعَامِلِ وَالصَّانِعِ، وَإِتْقَانُهُمَا ٢٤ شَوَّالٍ ١٤٤٥ هـ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: اعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ أَنَّ الْأَمَانَةَ أَمْرٌ عَظِيمٌ مِنْ أَوَامِرِ الدِّينِ، وَخُلُقٌ كَرِيمٌ مِنْ أَخْلَاقِ الصَّالِحِينَ، وَهِيَ جُزْءٌ مِنَ السُّلُوكِ الْفَاضِلِ، وَجَانِبٌ مُهِمٌّ مِنْ جَوَانِبِ الْإِسْلَامِ، بَلْ هِيَ الْإِسْلَامُ كُلُّهُ. فَهِيَ أَدَاءٌ لِحَقِّ اللهِ بِالْقِيَامِ بِالتَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّةِ، وَمُرَاقَبَةِ اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَهِيَ أَيْضًا أَدَاءٌ لِحُقُوقِ الْخَلْقِ عَلَى وَجْهِ الْحَقِّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ الْأَمَانَةَ تَنْتَظِمُ بِهَا مَجَالَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ فِي الْحَيَاةِ، وَمِنْ أَعْظَمِ تِلْكَ الْمَجَالَاتِ: مَجَالُ الْعَمَلِ وَالْوَظِيفَةِ، الَّذِي يَتَّجِهُ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ. فَقَدْ أَمَرَ اللهُ ﷻ الْعِبَادَ بِالسَّعْيِ فِي الْأَرْضِ لِطَلَبِ الرِّزْقِ، وَتَرْكِ الْكَسَلِ وَالْخُمُولِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾، وَالْأَنْبِيَاءُ عليهم السلام مَعَ عُلُوِّ دَرَجَتِهِمْ، وَنُبْلِ مَكَانَتِهِمْ كَانُوا يَمْتَهِنُونَ حِرَفًا وَأَعْمَالًا، فَنُوحٌ عليه السلام احْتَرَفَ صِنَاعَةَ السُّفُنِ، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى لَهُ: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾، وَدَاوُدُ عليه السلام كَانَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ، وَمَعَ هَذَا كَانَ حَدَّادًا يَصْنَعُ الدُّرُوعَ، قَالَ تَعَالَى عَنْهُ: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾، وَمُوسَى عليه السلام عَمِلَ أَجِيرًا رَاعِيَ غَنَمٍ عَشْرَ حِجَجٍ، فَنَكَحَ ابْنَةَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ فِي مَدْيَنَ، وَكَانَ زَكَرِيَّا عليه السلام يَعْمَلُ نَجَّارًا، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ زَكَرِيَّاءُ نَجَّارًا»، وَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ خَيْرُ الْأَنْبِيَاءِ رَعَى الْغَنَمَ فِي صِبَاهُ، وَتَاجَرَ بِمَالِ خَدِيجَةَ رضي الله عنها فِي شَبَابِهِ، أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ». وَهَكَذَا الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم عَمِلُوا مِنْ كَسْبِ أَيْدِيهِمْ، مِنْهُمُ الرَّاعِي، وَالْكَاتِبُ، وَالْخَادِمُ، وَالتَّاجِرُ، وَالْخَيَّاطُ، وَالنَّبَّالُ، وَالسَّقَّاءُ، وَالْفَلَّاحُ، وَغَيْرُهَا كَثِيرٌ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ الْمُوَظَّفَ الْمُرَاقِبَ لِلَّهِ تَعَالَى يُؤَدِّي عَمَلَهُ بِقُوَّةٍ وَأَمَانَةٍ، وَلَوْ رَأَى خِيَانَاتِ الْمُوَظَّفِينَ صِغَارِهِمْ وَكِبَارِهِمْ، وَيَحْفَظُ دِينَهُ مِنْ دَنَسِ الْمَالِ الْحَرَامِ، فَلَا يُضْعِفُ دِينَهُ لِيُقَوِّيَ دُنْيَاهُ، وَلَا يُشْبِعُ بَطْنَهُ لِتَجُوعَ رُوحُهُ وَقَلْبُهُ وَأَخْلَاقُهُ السَّامِيَةُ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ النَّاسِ. إِنَّهُ يَأْكُلُ اللُّقْمَةَ وَهُوَ يَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ، فَإِنْ كَانَتْ مِنْ حَرَامٍ رَفَضَهَا

وَلَفِظَهَا، أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لِإِنْسَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَا أُحْسِنُ الْكِهَانَةَ، إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ، فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ عَلَى الْمُوَظَّفِ الْحِفَاظَ عَلَى أَدَوَاتِ الْعَمَلِ وَمُمْتَلَكَاتِهِ وَحُقُوقِهِ مِنَ الْعَبَثِ وَالْإِهْمَالِ وَالْإِتْلَافِ وَالتَّصَرُّفِ الْخَاصِّ. أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ أَحْمَدُ شَاكِرٍ رَحِمَهُ اللهُ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَرْعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ، هَلْ مِنْ لَبَنٍ؟»، قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَلَكِنِّي مُؤْتَمَنٌ، قَالَ: «فَهَلْ مِنْ شَاةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ؟»، فَأَتَيْتُهُ بِشَاةٍ، فَمَسَحَ ضَرْعَهَا، فَنَزَلَ لَبَنٌ، فَحَلَبَهُ فِي إِنَاءٍ، فَشَرِبَ، وَسَقَى أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ: " اقْلِصْ " فَقَلَصَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُهُ بَعْدَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، قَالَ: فَمَسَحَ رَأْسِي، وَقَالَ: «يَرْحَمُكَ اللهُ، فَإِنَّكَ غُلَيِّمٌ مُعَلَّمٌ».

عِبَادَ اللهِ: هُنَالِكَ بَعْضُ الْوَظَائِفِ الْمُهِمَّةِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تُرَاعَى فِيهَا الْأَمَانَةُ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا. وَمِنْ تِلْكَ الْوَظَائِفِ: وَظِيفَةُ الْقَضَاءِ وَالْفَصْلِ بَيْنَ النَّاسِ، أَخْرَجَ أَهْلُ السُّنَنِ عَدَا النَّسَائِيِّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ، اثْنَانِ فِي النَّارِ، وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ، رَجُلٌ عَلِمَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ جَارَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ».

وَمِنْ تِلْكَ الْوَظَائِفِ الْمُهِمَّةِ: وَظِيفَةُ تَعْلِيمِ النَّاسِ وَإِرْشَادِهِمْ وَتَرْبِيَتِهِمْ عَلَى الْحَقِّ. وَهَذِهِ الْوَظِيفَةُ يَقُومُ عَلَيْهَا الْعُلَمَاءُ وَالدُّعَاةُ وَالْمُصْلِحُونَ وَالْمُرَبُّونَ، فَالْعُلَمَاءُ هُمْ حُرَّاسُ الدِّينِ مِنَ الْعَادِينَ، وَأَدِلَّةُ النَّاسِ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَإِذَا أَدَّوُا الْأَمَانَةَ فِي عَمَلِهِمْ هَذَا حُفِظَ الْإِسْلَامُ وَأَهْلُهُ، وَعَلَا الْحَقُّ وَاتَّضَحَ، فَإِنْ غَابُوا عَنْ أَمَانَتِهِمْ أُتِيَ الْإِسْلَامُ مِنْ قِبَلِ تَفْرِيطِهِمْ، وَخَفِيَ الْحَقُّ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ؛ لِغِيَابِ النُّورِ الَّذِي كَانَ يُرْشِدُهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»: هَذَا تَوْبِيخٌ مِنَ اللهِ، وَتَهْدِيدٌ لِأَهْلِ الْكِتَابِ،

الَّذِينَ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَنْبِيَاءِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنْ يُنَوِّهُوا بِذِكْرِهِ فِي النَّاسِ لِيَكُونُوا عَلَى أُهْبَةٍ مِنْ أَمْرِهِ، فَإِذَا أَرْسَلَهُ اللهُ تَابَعُوهُ، فَكَتَمُوا ذَلِكَ، وَتَعَوَّضُوا عَمَّا وُعِدُوا عَلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِالدُّونِ الطَّفِيفِ، وَالْحَظِّ الدُّنْيَوِيِّ السَّخِيفِ، فَبِئْسَتِ الصَّفْقَةُ صَفْقَتُهُمْ، وَبِئْسَتِ الْبَيْعَةُ بَيْعَتُهُمْ. وَفِي هَذَا تَحْذِيرٌ لِلْعُلَمَاءِ أَنْ يَسْلُكُوا مَسْلَكَهُمْ فَيُصِيبَهُمْ مَا أَصَابَهُمْ، وَيُسْلَكَ بِهِمْ مَسْلَكَهُمْ، فَعَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ يَبْذُلُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ، الدَّالِّ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَلَا يَكْتُمُوا مِنْهُ شَيْئًا، فَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ».

وَمِنَ الْوَظَائِفِ الْمُهِمَّةِ أَيْضًا: وَظِيفَةُ الطِّبِّ. فَكَمَا أَنَّ الْعُلَمَاءَ حُرَّاسُ الْأَدْيَانِ، فَإِنَّ الْأَطِبَّاءَ حُرَّاسُ الْأَبْدَانِ، وَلَا قِيَامَ لِلدُّنْيَا إِلَّا بِسَلَامَةِ هَذِهِ الْحُصُونِ الثَّلَاثَةِ. فَالطَّبِيبُ الْأَمِينُ هُوَ الَّذِي لَا يُمَارِسُ هَذِهِ الْمِهْنَةَ إِلَّا بَعْدَ تَأَهُّلِهِ الْكَافِي لَهَا؛ حَتَّى يُحَافِظَ عَلَى حَيَاةِ النَّاسِ مِنْ آثَارِ جَهْلِهِ بِهَا. فَالْأَمِينُ مِنَ الْأَطِبَّاءِ مَنْ يَحْفَظُ مَرْضَاهُ مِنَ الْأَدْوِيَةِ الْفَاسِدَةِ أَوِ الضَّارَّةِ، وَيُدَاوِي الْمَرَضَ كَمَا يَنْبَغِي، وَإِلَّا أَحَالَهُ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الْكَفَاءَةُ الْعَالِيَةُ، وَالْأَجْهِزَةُ الْمُنَاسِبَةُ لِعِلَاجِ ذَلِكَ الْمَرَضِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ أُمَّتَنَا الْحَبِيبَةَ بِحَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَى الْمُوَظَّفِينَ وَالْعُمَّالِ الْأُمَنَاءِ؛ لِأَنَّهُمْ مِنْ أَسْبَابِ رُقِيِّهَا وَتَقَدُّمِهَا، وَصَلَاحِ أَحْوَالِهَا بِفَضْلِ اللهِ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ الْأَمَانَةَ كَلِمَةٌ شَامِلَةٌ لِجَمِيعِ مَنَاحِي الْحَيَاةِ، مِنَ الْعَقَائِدِ وَالْعِبَادَاتِ، وَالْأَخْلَاقِ وَالْمُعَامَلَاتِ، وَالَّتِي يَدْخُلُ فِيهَا يَقِينًا الْعَمَلُ الْوَظِيفِيُّ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَا تَخُونُواْ اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»: وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْآيَةَ عَامَّةٌ، وَإِنْ صَحَّ أَنَّهَا وَرَدَتْ عَلَى سَبَبٍ خَاصٍّ، فَالْأَخْذُ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ عِنْدَ

الْجَمَاهِيرِ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَالْخِيَانَةُ تَعُمُّ الذُّنُوبَ الصِّغَارَ وَالْكِبَارَ، اللَّازِمَةَ وَالْمُتَعَدِّيَةَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الْأَمَانَةَ تَتَطَلَّبُ مِنَ الْمُوَظَّفِ الْمُسْلِمِ أَنْ يُؤَدِّيَ عَمَلَهُ بِإِتْقَانٍ. دُونَ تَأْخِيرٍ أَوْ تَعْطِيلٍ، أَوْ إِخْلَالٍ أَوْ تَقْصِيرٍ، أَوْ تَلَاعُبٍ أَوْ تَسَاهُلٍ، أَوْ تَضْيِيعٍ لِوَقْتِ الْعَمَلِ، أَوْ كَسْبِ مَالٍ لَا يَحِلُّ لَهُ بِأَيِّ صُورَةٍ، كَرِشْوَةٍ، أَوْ سَرِقَةٍ، أَوْ غَصْبٍ، أَوْ شَفَاعَةٍ فِي غَيْرِ مَحِلِّهَا، أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «التَّعْلِيقَاتِ الْحِسَانِ»، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ».

إِنَّ الْأَمَانَةَ تَتَطَلَّبُ مِنَ الْمُوَظَّفِ أَنْ يَكُونَ خَلُوقًا مَعَ زُمَلَائِهِ فِي الْوَظِيفَةِ. فَإِنْ كَانَ مُدِيرًا كَانَ قَائِدًا حَكِيمًا، مُتَحَلِّيًا بِالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ، يَنْظُرُ وَيُعَامِلُ مَرْؤُوسِيهِ مُعَامَلَةً عَادِلَةً، يُعْطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ؛ حَيْثُ إِنَّ الْمَسْؤُولِيَّةَ أَمَانَةٌ وَتَكْلِيفٌ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ مَنْصِبًا أَوْ تَشْرِيفًا، وَإِنْ كَانَ مَرْؤُوسًا يَتَحَلَّى بِالْجَمِيلِ مِنَ الْأَخْلَاقِ، وَيُؤَدِّي عَمَلَهُ كَمَا طُلِبَ مِنْهُ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ، أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ»، وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ ﷻ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ».

إِنَّ الْأَمَانَةَ تَتَطَلَّبُ مِنَ الْمُوَظَّفِ مَعَ الْمُرَاجِعِينَ، وَالْمُتَعَامِلِينَ مَعَ عَمَلِهِ وَوَظِيفَتِهِ، التَّعَامُلَ بِأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِ الْعَالِيَةِ، وَآدَابِهِ الرَّفِيعَةِ. وَإِنَّ مِنْ أَبْرَزِهَا بَشَاشَةَ الْوَجْهِ، وَالصِّدْقَ، وَالْحِلْمَ، وَتَوْقِيرَ الْكَبِيرِ، وَاحْتِرَامَ الصَّغِيرِ، وَالصَّبْرَ، وَحُسْنَ الْمُعَامَلَةِ، وَالرِّفْقَ وَاللِّينَ.

إِنَّ الْأَمَانَةَ تَتَطَلَّبُ مِنَ الْمُوَظَّفِ الْمُحَافَظَةَ عَلَى وَقْتِ الْحُضُورِ وَالِانْصِرَافِ، وَعَدَمَ الْغِيَابِ بِدُونِ عُذْرٍ. فَهَذَا الْوَقْتُ أَنْتَ كَمُوَظَّفٍ تَأْخُذُ عَلَيْهِ مُقَابِلًا مَالِيًّا، فَيَجِبُ أَنْ تُحَافِظَ عَلَيْهِ، وَأَنْ تَصْرِفَهُ فِي وَقْتِ الْعَمَلِ الْمَطْلُوبِ مِنْكَ، وَأَلَّا تَشْغَلَهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ.